منهج القاضي أبي بكر الباقلاني
في الحوار مع النصارى
كتاب "تمهيد الأوائل"
نموذجاً

إعداد الدكتور

غالب بن سعود بن غازي السيف

جامعة حائل، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية

حائل، المملكة العربية السعودية

منهج القاضي أبي بكر الباقلاني في الحوار مع النصارى كتاب "تمهيد الأوائل" نموذجاً

غالب بن سعود بن غازي السيف
جامعة حائل، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، حائل، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: gs.alsif@uoh.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف هذا العمل إلى الكشف عن أبرز الحوارات الإسلامية مع النصارى في القرون الأربعة الأولى؛ وهو القاضي أبوبكر الباقلاني، من خلال كتاب التمهيد له، والباقلاني من دعائم المدرسة الأشعرية في علم الكلام، وقد خصص الباب الثامن من كتاب "التمهيد" للكلام على النصارى، لم يختلف منهج الباقلاني العقلي في العقيدة الإسلامية عن منهجه في الجدل العقلي مع النصارى. كانت الفكرة الأساسية المسيطرة عليه هي نظرية الجواهر والأعراض، ومع ذلك ومن حين لآخر كان يعتمد على نصوص الكتب المقدسة.

كلمات مفتاحية: الإسلام، النصرانية، الحوار، الباقلاني، الأشعرية.

Approach of Judge Abu Bakr Al-Baqlani in the dialogue with the Christians

Ghalib bin Saud bin Ghazi Al-Saif

The University of Hail, College of Education, Department of Islamic Culture, Hail, Saudi Arabia.

E-mail: gs.alsif@uoh.edu.sa

Abstract:

This work aims to reveal the most prominent Islamic dialogues with Christians in the first four centuries. Judge Abu Bakr Al-Baqlani, through his introductory book. Al-Baqlani is one of the pillars of the Ash'ari school of theology. Chapter eight of the book "AL-TAMHEED" is devoted to speaking to the Christians. Al-Baqlani's rational approach to the Islamic faith did not differ from his approach to mental debate with the Christians. The basic idea dominating him was the theory of substance and presentation, however from time to time Al-Baqlani relied on the texts of the Holy Books.

Key words: Islam, Christianity, dialogue, Al-Baqlani, Ash'ari.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الطبيعي أن ينشأ-مع ظهور الإسلام بوصفه رسالة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) ودعوته الناس كافة، ولا سيما أهل الديانات السماوية السالفة، إلى اعتناقه-جدل عقائدي بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، ومن ضمنهم المسيحيون. ومن أبرز الردود الإسلامية على النصارى في القرون الأربعة الأولى كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني: وهو من دعائم المدرسة الأشعرية في الكلام، وقد خصص الباب الثامن من كتاب "التمهيد" للكلام على النصارى، اعتمد فيه على أسلافه وخاصة منهم الوراق. لم يختلف منهج الباقلاني العقلي في العقيدة الإسلامية عن منهجه في الجدل العقلي مع النصارى وقد كانت الفكرة الأساسية المسيطرة عليه هي نظرية الجواهر والأعراض.

التمهيد

ترجمة الباقلاني:

القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ هـ - ٤٠٢ هـ / ٩٥٠م - ١٠١٣م) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري، أحد كبار علماء عصره انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة بعد مؤسسها أبي الحسن الأشعري، كما يعد من مجددي المائة الرابعة. قال عنه ابن تيمية: «القاضي أبو بكر: محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم - وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده.»[(١)] وقال عنه ابن خلكان: «القاضي أبو بكر: محمد بن الطيب ابن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني، البصري، المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعري، ومؤيدا اعتقاده، وناصرا طريقته، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان أوحد زمانه، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه: وكان موصوفا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب وسمع الحديث. وكان كثير التطويل في المناظرة، مشهورا بذلك عند الجماعة"[(٢)] وقال عنه صلاح الدين

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ص ٥ / ٩٨.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق : إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٩٤، ص ٤ / ٢٦٩.

الصفدي في الوافي بالوفيات: «القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام، سكن بغداد وكان في فنه أوحد زمانه، سمع أبا بكر القطيعي وغيره وكان ثقة عارفاً بالكلام، صنف "الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية" [1] وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء[2] :«الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه... وكان ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه. وقد ذكره القاضي عياض في "طبقات المالكية" فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث"، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة. حدث عنه: الحافظ أبو ذر الهروي، وأبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، وقاضي الموصل، والحسين بن حاتم الأصولي."

مؤلفاته: للباقلاني مؤلفات كثيرة، ومنها:

تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، طبع بتحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

إعجاز القرآن للباقلاني، طبع بتحقيق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

الانتصار للقرآن للباقلاني، طبع بتحقيق: د. محمد عصام القضاة

---

(١) ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) (ص ١٩٠/١٧.)

الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

التقريب والإرشاد (الصغير)، بتحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

وغيرها كثير.

عقيدته: كان متكلمًا أشعريًا، يقول بتنزيه الله عن المكان والحد أي الحجم والتشبيه، بدليل ما جاء في كتابه "الإنصاف"[١] تحت عنوان "مسألة في إحالة اتصاف الباري بسمات النقص في حقه جلت صفاته"، فقد قال ما نصه: "ويجب أن يُعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لأن ها يتنافى مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

وفاته: ذكر الصفدي[٢] وفاة القاض الباقلاني فقال: " توفي القاضي أبو بكر المذكور ءاخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب"

(١) (ص ٢٧)

(٢) (ج ٣ ص١٤٧.)

منهج الباقلاني في الاستدلال

ذهب الباقلاني كالمتكلمين إلى أن المعرفة عقلية نظرية، وبنوا على ذلك نظرية جدلية، ذات مقدمات طويلة، ثم اختلفوا في هذه المقدمات، ولم يتفقوا على شيء منها، فقد ذهبوا إلى أن العالم حادث، ودليل حدوثه حدوث ما فيه من الجواهر والأعراض. قال الرازي: "قد عرفت أن العالم إما جوهر أو أعراض، وقد يستدل بكل واحد منها على وجود الصانع، إما بإمكانه أو حدوثه، فهذه وجوه أربعة.." [1].

فقد أشار الرازي في هذا النص إلى طريقتين للمعرفة عنده هي طريق الحدوث ويقابله القدم، وطريق الإمكان ويقابله الوجوب وهذا هو المقصود بالنظر عند المتكلمين، وظاهر أنه نظر عقلي جدلي، وهذا النظر هو اصطلاح لهم، وإلا فإن النظر الذي دعا إليه القرآن، ليس محله القضايا المنطقية الجدلية، وإنما محله الكون والإنسان.

أولاً: طريق الحدوث:

وملخص هذا الدليل أن كل حادث لابد له من محدث، وإما يدور أو يتسلسل، أو ينتهي لمحدث أول غير حادث. ورغم أن هذا هو بدهي لا يحتاج إلى إثبات كحدوث العالم بعد أن لم يكن. وبعد ما ذكر الرازي القانون السابق طفق يستدل على كل جزئية من جزئياته، وما تفرع منها كذلك.[2]

---

(١) المحصل (ص:٣٣٧) ط. دار التراث، وانظر أيضاً الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر (ص: ٨١ ــ ٨٣)، ط. الجامعة الإسلامية، والبغدادي: أصول الدين (ص: ٦٨)، والإيجي: المواقف (ص: ٢٦٦)، والبيجوري: شرح جوهرة التوحيد (ص: ٤٨) ومصطفى صبري: موقف العقل (٢/ ١٦٥) وما بعدها، وانظر أيضاً: ابن تيمية: النبوات (ص: ٧٢ و٧٧) ط. دار العلم، بيروت. ودرء التعارض (٧/ ٣١١)

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثانياً: طريق الوجوب والإمكان:

الاقتراح الثاني الذي ذكره الرازي للمعرفة هو طريق الإمكان والوجوب، فقد قسموا العالم إلى ممكن وواجب بدلاً من قديم وحادث، فقالوا: "ما حقه في نفسه الإمكان فليس يصير موجوداً من ذاته، فإنه ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه من حيث هو ممكن، فإن صار أحدهما أولى فلحضور شيء أو غيبته. فوجود كل ممكن هو من غيره"[١]. ثم قال: "إما أن يتسلسل ذلك إلى غير نهاية فيكون كل واحد من آحاد السلسلة ممكن في ذاته، والجملة متعلقة بها، فتكون غير واجبة أيضاً وتجب بغيرها"[٢]. ففي الفقرة الأولى أشار إلى أن الممكن لا يوجد إلا لعلة تغايره. وتقريره أن الممكن إما أن تحتاج ذاته في أن تكون موجودة إلى غيرها أو لا تحتاج، والثاني باطل لاستحالة الترجيح بلا مرجح. إذن الأول حق. وفي الفقرة الثانية يريد إثبات واجب الوجود لذاته. وتقرير الكلام بعد ثبوت احتياج الممكن إلى الغير ــ أن ذلك الغير إما واجب وإما ممكن. والكلام في ذلك الممكن كالكلام في الممكن الأول، فأما أن ينتهي إلى واجب أو يدور [٣] أو يتسلسل [٤] إلى غير نهاية فتبين أن سلسلة الممكنات

---

(١) الإشارات والتنبيهات (٣/ ٢٠ ــ ٢١).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، فإذا قيل إن ممكناً هو (أ) متوقف وجوده على ممكن آخر هو (ب) ثم قيل إن (ب) الذي يتوقف وجود (أ) عليه متوقف في وجوده على (أ) آل الأمر إلى أن (أ) متوقف في وجوده على نفسه. ومعنى توقف وجوده على نفسه أن وجوده من ذاته ووجود الممكن من ذاته مستحيل كما هو الفرض. انظر: سليمان دنيا: مقدمة الإشارات (١/ ٣١) والجرجاني: التعريفات (ص: ٩٤)

(٤) التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية وأقسامه أربعة. انظر: سليمان دنيا: مقدمة الإشارات (١/ ٣٣) وما بعدها، والجرجاني: التعريفات (ص: ٤٩)

ــ على فرض وجودها ــ محتاجة إلى شيء خارج عنها [1]. وهذه الطريقة كما هو ظاهر هي عقلية نظرية جدلية، ومبنية على مقدمات منطقية أعقد وأطول من مقدمات المتكلمين في مسألة "حدوث العالم". وبعد ما ذكر الرازي القانون السابق طفق يستدل على كل جزئية من جزئياته، وما تفرع منها كذلك، ورغم أن منها ما هو بدهي لا يحتاج إلى إثبات كحدوث العالم بعد أن لم يكن. وهكذا فعل وقال الباقلاني:" بَاب الْكَلَام فِي إِثْبَات حدث الْعَالم: جَمِيع الْعَالم الْعلوِي والسفلي لَا يخرج عَن هذَيْن الجنسين أَعنِي الْجَوَاهِر والأعراض وَهُوَ مُحدث بأسره وَالدَّلِيل على حَدثهُ مَا قدمْنَاهُ من إِثْبَات الْأَعْرَاض."[2] فلو لم يكن للعالم إله للزم الدور والتسلسل، وكل منهما باطل فما أدى إليه وهو عدم وجود إله: باطل، فثبت نقيضه وهو أن للعالم إله، ثم نحاول أن نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانهما.

معنى الحدوث: الحادث ما يكون مسبوقا بالعدم ويسمى حدوثا زمانيا وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ويسمى حدوثا ذاتيا.

فالحدوث قسمان:

أ. **الحدوث الزماني:** هو السبق بالعدم سبقاً زمانياً.

ب. والحدوث الذاتي: هو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير. [3]

---

(١) انظر: الطوسي: شرح الإشارات حاشية الإشارات والتنبيهات، وانظر: سليمان دنيا: مقدمة الإشارات (١/ ٢٨) وما بعدها.

(٢) التمهيد (ص: ٤٣).

(٣) انظر: د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي (١/٤٣٣ــ ٤٣٤)

موقف السلف من النظرية:

قال أبو القاسم الأصبهاني–رحمه الله –: " أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم الله التابعين ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به فيسعنا السكوت عما سكتوا عنه أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعنا ألا نعلم مالم يعلموه.. "(١)

وقال ابن تيمية –رحمه الله –: " فالسلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ [الجوهر] و[العرض] و[الجسم] وغير ذلك؛ بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجملة في النفي والإثبات. كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع فقال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه. فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة، بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق؛ بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفيا وإثباتا في الوسائل والمسائل؛ من غير بيان التفصيل

---

(١) لحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، ، الملقب بقوام السنة ، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ،دار الراية ، ط ٢ ، السعودية – الرياض ، ١٩٩٩م ، ٩٩– ١٠٠ .، وانظر: ابن تيمية: درء التعارض (١/ ٨) وما بعدها، والنبوات (ص: ٧٣ –٨٤)، ومنهاج السنة (١/ ٩٦) ط. جامعة الإمام، الأولى، ١٤٠٦هـ، ت: رشاد سالم.

والتقسيم الذي هو الصراط المستقيم. وهذا من مثارات الشبهة. فإنه لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المتبوعين، أنه علق بمسمى لفظ الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئا من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل؛ والمتكلمون بهذه العبارات يختلف مرادهم بها. تارة لاختلاف الوضع. وتارة لاختلافهم في المعنى الذي هو مدلول اللفظ كمن يقول [الجسم هو المؤلف، ثم يتنازعون هل هو الجوهر الواحد بشرط تأليفه؟ أو الجوهران فصاعدا؟ أو الستة؟ أو الثمانية؟ أو غير ذلك؟ ومن يقول هو الذي يمكن فرض الأبعاد الثلاثة فيه، وأنه مركب من المادة والصورة، ومن يقول هو الموجود، أو الموجود القائم بنفسه؛ وأن الموجود لا يكون إلا كذلك. " (١)

منهج الباقلاني في الرد على النصارى

اتبع الباقلاني نفس المنهج العقلي ونظرية الأعراض وحدوث الأجسام أو مسألة الجوهر والعرض في مناقشة النصارى في عقيدتهم ودحضها-ماعدا باباً واحدا شذ فيه الباقلاني عن هذا الطريق ولجأ فيه للنصوص وتفسيرها على خلاف منهجه العام كما سوف نرى. وقد حرص عددٌ من أصحاب الردود – ومنهم الباقلاني-على عرض هذا التثليث قبل محاولة دحضه. وكان العرض يتضمن العناصر الأساسية التي هي محل الطعن في الردود الإسلامية، وهي: الثالوث المسيحي، صيغته والأمثلة التي تضرب له، تعريفات الجوهر والأقانيم، علاقة الجوهر بالأقانيم.

---

(١) الفتاوى الكبرى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت – لبنان ،١٩٨٧م ، ٣٠٧/٣ .

المبحث الأول: مناقشة الباقلاني النصارى في تعريف الجوهر:

تعريف الجوهر:

المســـــألة الأولى: تعريف الجوهر في اللغة:

جوهر الشيء حقيقته وذاته، ومن الأحجار كل ما يستخرج منه شـــيء ينتفع به والنفيس الذي تتخذ منه الفصوص ونحوها و (في الفلسفة) مـــا قـــام بنفسه ويقابله العرض وهو ما يقوم بغيره واحدته جوهرة.(١).

المسألة الثانية: تعريف الجوهر في الاصطلاح:

الجوهر في اصطلاح الفلاسفة هو الموجود القائم بنفسه، وهو يرادف عندهم الذات والحقيقة والماهيّة.

والجوهر عند المتكلّمين هو: الموجود القائم بنفسه المتحيّـــز بالـــذات، ومعنى قيامه بنفسه هو أنه يصحّ وجوده في غير محلّ يقوم به. وبهذه القيـــود يخالف الأعراض، وهي التي لا يصحّ وجودها إلا قائمة في محلّ لأنه لا تحيّز لها إلا أن يكون تابعاً لتحيّز المحلّ الذي تقوم فيه، وليس وجودها في نفســـها إلا نفس وجودها في المحل الذي تقوم فيه.

وقال الأشعري في تعريفه: واختلف الناس في الجوهر وفي معناه على أربعة أقاويل:١- فقالت النصارى: الجوهر هو القائم بذاته وكل قـــائم بذاتـــه فجوهر وكل جوهر فقائم بذاته.٢- وقال بعض المتفلسفة: الجوهر هو القـــائم بالذات القابل للمتضادات.٣- وقال قائلون: الجوهر ما إذا وجد كـــان حـــاملاً للأعراض. وزعم صاحب هذا القول أن الجواهر جواهر بأنفسها وأنها تعلـــم جواهر قبل أن تكون. والقائل بهذا القول هو الجبائي.٤- وقـــال الصـــالحي:

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة : (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة ، ١٤٩/١.

الجوهر هو ما احتمل الأعراض وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضاً ولا يكون محلاً للأعراض إلا أنه محتمل لها. (١)

والجوهر عند المتكلّمين كما يشرح دغيم (٢): "هو: الموجود القائم بنفسه المتحيّز بالذات، ومعنى قيامه بنفسه هو أنه يصحّ وجوده في غير محلّ يقوم به. وبهذه القيود يخالف الأعراض، وهي التي لا يصحّ وجودها إلا قائمة في محلّ لأنه لا تحيّز لها إلا أن يكون تابعاً لتحيّز المحلّ الذي تقوم فيه، وليس وجودها في نفسها إلا نفس وجودها في المحل الذي تقوم فيه. والجوهر هو الذي يحتمل الأعراض، ويجوز أن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضا، ولا يكون محلا للأعراض إلا أنه محتمل لها."

وفي مقابل الجوهر يكون العرض وهو: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به والأعراض على نوعين:

١. قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد.
٢. وغير قار الذات وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون(٣).

وهذا هو المقصود بالنظر عند المتكلمين، وظاهر أنه نظر عقلي جدلي، وهذا النظر هو مجرد اصطلاح لهم، وإلا فإن النظر الذي دعا إليه القرآن، مختلف تماماً، وليس محله القضايا المنطقية الجدلية، وإنما محله الكون والإنسان.

---

(١) مقالات الإسلاميين.، ١ / ٣٠٦.

(٢) موسوعة المصطلحات الكلامية، ١٩٩٨م، ص ٤٣٥.

(٣) التعريفات، المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت
الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، ص ١٩٢

مناقشة النصارى في تعريف الجوهر:

حكى أبو الحسن الأشعري قول النصارى في الجوهر ومعناه باختصار فقال:

" قالت النصارى: الجوهر هو القائم بذاته وكل قائم بذاته فجوهر وكل جوهر فقائم بذاته". (١)

وقد ناقش الباقلاني النصارى في تعريف الجوهر بناءً على اصطلاح المتكلمين، فقال أولا أنهم وصوفت الله تعالى بأنه جوهر وناقشهم في هذه المقولة، بفرض عدة احتمالات يبنى عليها قولهم، فقال:

" يقال لهم: لم قلتم إن الله سبحانه جوهر وما دليلكم على ذلك؟ فإن قالوا الدليل على ذلك أننا وجدنا الأشياء كلها في الشاهد والوجود لا تخلو من أن تكون جواهر وأعراضا وقد اتفقنا على أن القديم ليس بعرض فوجب أن يكون جوهرا أو قالوا الدليل على ذلك أنا وجدنا الأشياء كلها لا تخرج عن قسمين إما قائم بنفسه أو قائم بغيره والقائم بغيره هو العرض والقائم بنفسه هو الجوهر فلما فسد من قولنا وقولكم أن يكون قائما بغيره وأن يكون عرضا ثبت أنه قائم بنفسه وأنه جوهر من الجواهر، أَو قَالُوا الدَّلِيل على ذَلِك أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء كلهَا على ضَرْبَيْنِ فَضرب مِنْهَا يَصح مِنْهُ الْأَفْعَال وَهُوَ الْجَوْهَر وَضرب تتعذر وتمتنع مِنْهُ الْأَفْعَال وَهُوَ الْعرض فَلَمَّا ثَبت أَن الْقَدِيم فَاعل وَمِمَّنْ تَأتي مِنْهُ الْأَفْعَال ثَبت أَنه جَوْهَر أَو قَالُوا الدَّلِيل على ذَلِك أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء على ضَرْبَيْنِ شرِيف وَهُوَ الْجَوْهَر الْقَائِم بِنَفسِهِ المستغني فِي الْوُجُود عَن غَيره وخسيس قَائِم بِغَيْرِهِ ومحتاج إِلَيْهِ وَهُوَ الْعرض فَلَمَّا لم يجز أَن يكون الْقَدِيم من قبيل الخسيس ثَبت أَنه شرِيف وَأَنه قَائِم بِنَفسِهِ.." (٢)

---

(١) المقالات، (ص ٢٧٠).

(٢) التمهيد، ص ٩٢-٩٣.

ثم طفق يرد على جميع ما أورده احتمالا لتبرير قولهم؛ فقال:

"فَيُقَال لَهُم لم زعمتم أَولا أَنكُمْ إِذا لم تَجدوا الْأَشْيَاء فِي الشَّاهِد إِلَّا على مَا وصفتم وَجب الْقَضَاء على الْغَائِب بِمُجَرَّد الشَّاهِد وَأَن الْمَوْجُود فِي الْغَائِب لَا يَنْفَكّ من أَصْنَاف الموجودات فِي الشَّاهِد! وَمَا حجتكم على ذَلِك فَإِن الْخلاف فِي جِهَة استدلالكم أعظم والغلط وَالْخَطَأ فِيهِ أفحش. ثمَّ يُقَال لَهُم فَأَنْتم أَيْضا لم تَجدوا حَادِثا إِلَّا وَقَبله حَادث وَلَا شَيْئا إِلَّا عَن شَيْء وَلَا جسما إِلَّا وَبعده جسم وفوقه جسم وَتَحْته جسم وَمن عَن يَمِينه وشماله وتجاهه وَخَلفه جسم وَلَا وجدْتُم فَاعِلا اخترع الْأَجْسَام وأحدث الْأَفْعَال بِغَيْر أدوات وآلات وجوارح وعلاج فاقضوا بذلك على قدم الْعَالم وَنفي النِّهَايَة عَنهُ وَأَن الْحَوَادِث لَا أول لَهَا وَأَن الْأَجْسَام لَا كل لَهَا وَلَا غَايَة وَألا إِنْسَان إِلَّا من نُطْفَة إِلَّا من إِنْسَان وَلَا طَائِر إِلَّا من بَيْضَة وَلَا بَيْضَة إِلَّا من طَائِر أبدا إِلَى غير نِهَايَة وَهَذَا لُحُوق بِأَهْل الدَّهْر وَكَذَلِكَ فاقضوا على أَنه لَا فَاعل لأجسام الْعَالم وَأَن الْفَاعِل لأغراضه يَفْعَلهَا بآلات وأدوات وأوجبوا على من نَشأ فِي بلد الزنج فَلم يجد بهَا مَاء إِلَّا عذبا وَلَا إِنْسَانا إِلَّا أسود وَلَا زرعا إِلَّا أَخْضَر أَن يقْضِي على أَنه لَا مَاء إِلَّا عذب وَلَا إِنْسَان إِلَّا كَمَا وجد وَشَاهد حَتَّى يوجبوا الْقَضَاء بِالْجَهْلِ الَّذِي يعلم بُطْلَانه اضطرارا فَإِن مروا على ذَلِك أجمع لَحِقُوا بِأَهْل الدَّهْر والجهالات وَإِن امْتَنعُوا مِنْهُ نقضوا استدلالهم " (١)

ويرد القاضي رداً عاماً على جميه ما صوروه ولو احتمالا على تشبيه الله تعالى بالجوهر:

" ثمَّ يُقَال لَهُم على سَائِر أدلتهم الَّتِي قدمنَا ذكرهَا مَا أنكرتم أَن يكون الْقَدِيم حَامِلا للأعراض بِمثل كل دَلِيل ذكرتموه وَذَلِكَ أَنا وجدنَا الْأَشْيَاء كلهَا على ضَرْبَيْنِ فَضرب فعال شريف قَائِم بِنَفسِهِ لَيْسَ بِعرْض وَهُوَ الْحَامِل

(١) الباقلاني: التمهيد (ص: ٤٣)

للأعراض وَضرب آخر لَيْسَ قَائما بِنَفسِهِ وَلَا فعالا وَلَا شريفا وَهُوَ الْعرض فَلَمَّا ثَبت أَن الْقَدِيم فعال قَائِم بِنَفسِهِ شرِيف لَيْسَ بخسيس ثَبت أَنه حَامِل للأعراض ذُو حيّز وشغل فَإِن مروا على ذَلِك تركُوا دينهم وَإِن أَبوهُ أبطلوا استدلالهم إبطالا ظَاهرا" (١)

ناقش الباقلاني النصارى قولهم في تعريف الجوهر، بناءً على أنه عند المسلمين هو "ما شغل حيزاً وقبل عرضاً"، بينما هو عند النصارى "القائم بنفسه" وليس هو في "الموضوع".

مناقشته النصارى في قولهم إنه تعالى جوهر:

ناقش القاضي النصارى راداً عليهم في وصفهم أن الله تعالى جوهراً، فقال مناقشاً لهم بطريق الإلزام ببطلان اقوالهم:

" ثمَّ يُقَال لَهُم إِنَّكُم قد أخطأتم فِي قسْمَة الْأَشْيَاء المعقولة الْمَوْجُودَة لِأَن مِنْهَا الفعال الشريف الْقَائِم بِنَفسِهِ الَّذِي هُوَ الْجِسْم الْمُؤلف وَلَيْسَ بِشَيْء وَاحِد وَمِنْهَا الشريف الْقَائِم بِنَفسِهِ الَّذِي هُوَ الْجَوْهَر الَّذِي لَيْسَ بمؤلف فَمَا أنكرتم أَن يكون الْبَارِي سُبْحَانَهُ جسما فَإِن قَالُوا لأننا لم نعقل جسما إِلَّا متغايرا مؤتلفا مصورا وَهَذِه الْأُمُور من صِفَات الْحَدث والباري سُبْحَانَهُ لَا يجوز عَلَيْهِ ذَلِك فَبَطل أَن يكون جسما يُقَال لَهُم أَيْضا فَمَا أنكرتم من اسْتِحَالَة كَونه جوهرا لأننا لم نعقل جوهرا إِلَّا شاغلا متحيزا قَابلا للحوادث من جنس هَذِه الْجَوَاهِر وَهَذِه الْأُمُور دَالَّة على حدث من جَازَت عَلَيْهِ فَلَمَّا لم يجز أَن يكون الْقَدِيم سُبْحَانَهُ مُحدثا لم يجز أَن يكون جوهرا" (٢)

---

(١) التمهيد ، ص ٩٦.

(٢) التمهيد، ص ٩٧.

هكذا اتبع الباقلاني نفس المنهج العقلي المعتمد على نظرية الجواهر والأعراض وحدوث الأجسام أو مسألة الجوهر والعرض في مناقشة النصارى في عقيدتهم ودحضها. ورغم أن المتكلمين –المسلمون والمسيحيين–يعتمدون على المقولات المنطقية اليونانية، لكن برغم ذلك لم يكونا يلتقيان، لأن الاستعمال في ثقافة كل منهما قد كرّس تصوّراً معيناً للمصطلحات الفلسفية، وخاصة عند اللاهوتيين والمتكلمين، مما كان يعسر معه الالتقاء والتفاهم. وفيما يتعلق بمناقشة أدلة النصارى على أن الله جوهر، وعلى خلاف ما ادعى البعض أن الردود الإسلامية وصفت المشكلة من الناحية الشكلية فقط ولم تناقش تعريف النصارى للجوهر من جهة المحتوى.

المبحث الثاني: منهج الباقلاني في الرد على النصارى في قضية التثليث

بين هذين الشعارين (قل هو الله أحد، الله الصمد) – (بسم الآب والابن والروح القدس، إله واحد) حول هذين المفهومين للتوحيد الإلهي أجريت المجادلات الطويلة بين المسلمين والنصارى. تجدر الإشارة إلى أن المسلمين سجّلوا بكل اهتمام وجود عدد من الفرق النصرانية "الموحّدة" أبرزها الأريوسية، ظهرت عبر التاريخ. وكانت وفيّة للتوحيد اليهودي فالمسيحي الأصلي والبدائي إلى أن طغت الفرق "المثلثة" فأصبحت هامشية، حتى جاء الإسلام فدخل أتباعها فيه. وكان مجرد وجود نصارى آمنوا بعيسى المسيح نبياً وأنكروا أن يكون ابن الله وأحد الأقانيم الإلهية الثلاثة دليلاً بالغاً على فساد عقيدة أغلبية النصارى وانحرافها عن رسالة عيسى. لذا كانت الردود الإسلامية موجّهة إلى آراء أتباع الفرق الثلاث الكبرى (الملكية والنسطورية واليعقوبية) في التثليث. (١)

وقد حرص عددٌ من أصحاب الردود على عرض هذا التثليث قبل محاولة دحضه. وكان العرض يتضمن العناصر الأساسية التي هي محل الطعن في الردود الإسلامية، وهي: الثالوث المسيحي، صيغته والأمثلة التي

---

(١) فرق النصارى التاريخية ثلاث هي الملكية واليعقوبية والنسطورية، واختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في إقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم . انظر: ابن خلدون، التاريخ، ص ١ / ٢٣٤.

تضرب له، تعريفات الجوهر والأقانيم، علاقة الجوهر بالأقانيم. أما بالنسبة إلى مناقشة القول بأن الله ثلاثة أقانيم فقد كان مجرد هذا القول مرفوضاً عند المفكرين المسلمين مهما كان التعريف الذي يعرّفه به النصارى. ولكن الطعن في وجود الأقانيم يرجع في الحقيقة إلى سببين رئيسيين:

١- اختلاف الأقانيم من جهة واتفاقها من جهة أخرى.

٢- اختصاص كل أقنوم بصفة لا تنطبق على الأقنومين الآخرين.

فعلى قولهم إن جوهر الأقانيم الثلاثة واحد القول بأن الابن يستحق كل ما يستحقه الأب من الصفات من حيث كان جوهره كجوهره. وإلا فإن صح أن يكون مخالفاً له – وإن كان جوهره كجوهره – ليجوّزن خروج الأب من أن يكون أباً والابن من أن يكون إبناً، وإن كان إنما كان كذلك لجوهره، لأن اثبات مثل الشيء في جوهره مع مخالفته له في صفته الراجحة إلى جوهره، إذا صحَ، صحّ أيضاً خروج الشيء عن جوهره. وهذا يوجب عليهم أن لا يأمنوا عدم الأب والابن وخروج الأب من أن يكون قديماً." وهناك اقتناع لدى المتكلمين بأنه لا وجه لأن يختص أحد الأقانيم بالأبوة – أي بالولادة الأزلية للكلمة – وآخر بالنبوة – أي بالتولّد عن الأب- وآخر بالروحانية في نطاق النظرية الثالوثية التي تجعل الأقانيم مشتركة في الألوهية، لأن هذا الاختصاص يفضي في نظرهم إلى نتائج فاسدة وغير منطقية ويجعل عقيدة التثليث غير معقولة وقائمة على أساس واهٍ. والنتيجة النطقية من رفض النصارى استحقاق كل أقنوم من الصفات ما يستحقه الأقنومان الآخران، وهي انعدام الأقانيم جملةً وانتفاء القدم عن الأب.

قال الباقلاني:

" يقال لهم لم زعمتم أن الباري سبحانه ثلاثة أقانيم دون أن تقولوا إنه أربعة وعشرة وأكثر من ذلك؟ فإن قالوا من قبل أنه قد ثبت أن الباري سبحانه موجود جوهر وثبت أنه حي وأنه عالم فوجب أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم منها الجوهر الموجود ومنها العلم والحياة لأن الحي العالم لا يكون حيا عالما حتى يكون ذا حياة وعلم فوجب أن الأقانيم ثلاثة فيقال لهم ما أنكرتم من أن تكون الأقانيم أربعة لأننا نقول إن القديم موجود حي عالم قادر والقادر لا بد له من قدرة فوجب أن تكون الأقانيم أربعة ..."(١)

وقال أيضا:

"....مسألة عليهم في الأقانيم يقال لهم خبروني عن الجوهر العام الجامع للأقانيم الذي هذه الأقانيم له أقانيم أهو عندكم الأقانيم أم غيرها فإن قالت اليعقوبية والنسطورية ليس الجوهر بغير الأقانيم قيل أفليس الجوهر غير مختلف من حيث كان جوهرا ومن حيث لم يكن معدودا ومن حيث لم تكن له خواص متباينة المعنى فإن قالوا أجل وهو قولهم قيل لهم أفليس الأقانيم مختلفة من حيث هي خواص متباينة المعنى ومن حيث هي معدودة ومن حيث هي أقانيم ومن حيث أن الابن منها تدرع واتحد بجسد المسيح عليه السلام دون الروح فإن قالوا نعم ولا بد من ذلك قيل لهم فإذا كان الجوهر هو الأقانيم والأقانيم مختلفة معدودة متباينة في الاختصاص ومنها المتحد وهي نفس الجوهر فنفس الجوهر إذا مختلفة معدودة متباينة متحدة بناسوت المسيح عليه السلام فيجب أن يكون نفس الجوهر الذي ليس بمعدود ولا مختلف ولا متحد ولا متباين المعنى هو نفس المختلف المعدود المتباين المعنى المتحد وهذا جهل ممن صار إليه وليس ذلك من قولهم في الجوهر ولا خلاص لهم منه..." (٢)

---

(١) التمهيد (ص: ٤٣)

(٢) التمهيد ص ١٠٠.

رد الباقلاني للأقانيم:

ويرى الباقلاني أن المرادف للأقانيم هو الأسماء والصفات. وأبلغ دليل على ذلك هو أن الحجة التي تواترت عند المتكلمين –ومنهم الباقلاني– تتمثل في ضرورة إلحاق أقنوم القدرة بأقنومي العلم والحياة بناءً على الأسباب نفسها التي حدت بالنصارى إلى اعتبار الله عالماً حياً. إن القدرة هنا ليست إلا أنموذجاً للصفات الإلهية، وما القصد من التركيز عليها سوى إحداث ثغرة في البناء الثالوثي، وإلاّ فالعزة أيضاً مثلها مثل الحياة والعلم، وسائر الصفات. فإذا كان قصد النصارى نسبة العلم والحياة إلى الله تنزيهاً له عن النقص، فهذا يوجب عليهم نسبة صفات كثيرة له كالإدراك والسمع والبصر والإرادة، وفي هذا إثبات لأقانيم كثيرة كما أثبتوا أقنومي الحياة والعلم أي "الروح" و"الكلمة."

قال الباقلاني: "زعم قوم منهم أن معنى الأقانيم التي هي الخواص أنها صفات للجوهر فيقال لهم إذا استحال أن تكون أقانيم وخواص لأنفسها وإنما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها ولا يقال إنه هي فهذا يوجب إثبات أربعة معان منها جوهر وثلاث خواص له وهذا ترك التثليث وإن قالوا هي خواص لأنفسها وأقانيم لأنفسها قيل لهم فيجب أن يكون الابن ابن نفسه والروح روح نفسه والصفة صفة نفسها وهذا جهل عظيم ويجب بطلان ما هي خواص له ونفيه وألا يكون هناك مخصوصا بهذه الخواص وهذا إبطال للجوهر. وزعم قوم منهم أن معنى الأقانيم والخواص أنها أشخاص فيقال لهم أهي أشخاص لأنفسها أم لجوهر يجمعها فإن قالوا لأنفسها تركوا قولهم وإن قالوا لجوهر جامع لها أبطلوا التثليث وقال بعضهم معنى الأقانيم أنها خواص فقط فيقال لهم أهي خواص لأنفسها أم لجوهر جامع لها هي خواص له ويكلمون في ذلك بما كلما به من زعم أنها أشخاص وصفات ولا جواب لهم عن ذلك..." [1]

---

(١) التمهيد (ص: ١٠٦).

المبحث الثالث: منهج الباقلاني في الرد على النصارى في التجسد

معنى التجسد:

التجسد الإلهي يعنى أن الله تخلى عن ذاته الإلهية، واتخذ جسدًا إنسانيًا بنفس عاقلة "أخلى نفسه أخذاً صورة عبد صائرًا في الهيئة شبة الناس" (الرسالة إلى فليبي ٢:٧). فالتجسد الإلهي يعنى أن الله غير المنظور أخذ جسدًا وظهر به للناس، "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس الأولى٣:١٦)، وعبارة ظهر فى الجسد لا تعنى إن التجسد مجرد ظهور، بل تعنى أن الله أخذ جسدًا حقيقيًا وظهر به بين الناس. فالله أخذ جسدًا حقيقيًا وحل بيننا، "الكلمة "ابن الله" صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا" (يوحنا١:١٤). وبناءً عليه فإن الله تعالى "إن غير المنظور صار منظورًا وغير المدرك صار مدركًا، وغير المتألم صار تحت الآلام، والكلمة صار إنساناً، إن غير المحوى وغير المدرك وغير المرئي جعل نفسه مرئيًا ومدركًا". [١] يتلخص هذا الاعتقاد في التعبير الكتابي (يوحنا ١: ١٤): "والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده"، وعلى الرغم من أن النصارى يعتبرون طبيعة تجسّد الكلمة في عيسى "سراً" يعسر التعبير عنه، إلا أن هذا لم يحل دون سعيهم لإيجاد صيغ وتشابيه تحاول تقريب طبيعة الاتحاد من الأفهام لغايات تعليمية، فالتجسد عند آباء الكنيسة كما يقرر أوريجينوس[٢] بإصرار يعني أن السيد المسيح تجسد أي قد صار بشرا،

---

(١) وليم إدي، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: شرح الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح الرابع. طبعة مجمع الكنائس في الضرق الأدنى، بدون رقم الصفحات.

(٢) أوريجانوس كان من ابرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية.. كتاباته هامة بوصفها واحدة من أولى المحاولات الفكرية لوصف وتبرير المسيحية. توفي في سنة ٣٥٤.

إلا أنه قد بقي إلها، فبشريته لم تضع حدا لطبيعته الإلهية" [١]. فيسوع المسيح الذي جاء إلى الأرض كان في حضن الأب قبل كل الخليقة. [٢] فما كان من أصحاب الردود إلا أن عكفوا على هذه الصيغ والتشابيه يمحصّونها ويخضعونها لنقد صارم ومفصّل. إن عقدة القضية عند المتكلمين- ومنهم الباقلاني- في الحوار الإسلامي – المسيحي حول التجسّد هي في إصرار النصارى على أن التجسّد سر لا سبيل إلى إدراك كنهه بالعقل البشري المحدود لا محالة، وغاية ما يستطيع العقل بلوغه هو تقريبه من الأفهام، بينما يرفض المتكلمون كل ما يتعارض والمعقول مما لا يمكن إقامة الدليل عليه بالبراهين العقلية.

أولاً بين الباقلاني مقالات الفرق الكبرى في التجسّد، واختلافهم فيها، فقال[٣]: "وقد اختلفت عباراتهم عن معنى الاتحاد فقال منهم معنى الاتحاد أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح عليه السلام وقالت طائفة أخرى وهم اليعاقبة[٤] وكثير منهم إن الاتحاد هو اختلاط وامتزاج وزعمت اليعقوبية أن

---

(١) (الفادي، عبد الله ، التجسد عند اوريجانيوس،، ص ٢).

(٢) للتفصيل انظر: هنري بولاد، الإنسان وسر التجسد، ترجمة بولس دحدح، طبعة دار المشرق ش م م ، الأولى ٢٠٠٨، بيروت لبنان. وعبد الله الفادي، التجسد عند اوريجانيوس، طبعة سنة ٢٠٠٠ بدون بيانات.

(٣) التمهيد، ص١٠٧-١٠٨.

(٤) فرق النصارى التاريخية ثلاث هي الملكية واليعقوبية والنسطورية، واختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في إقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم . انظر: ابن خلدون، التاريخ، ص ١ / ٢٣٤.

كلمة الله انقلبت لحما ودما بالاتحاد وزعم كثير منهم أعني اليعقوبية والنسطورية أن اتحاد الكلمة بالناسوت اختلاط وامتزاج كاختلاط الماء وامتزاجه بالخمر واللبن إذا صب فيهما ومزج بهما وزعم قوم منهم أن معنى اتحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتحادها له هيكلا ومحلا وتدبيرها الأشياء عليه وظهورها فيه دون غيره."

نقد تصوير النصارى للتجسد:

إن عقدة القضية في الحوار الإسلامي – المسيحي حول التجسّد هي في إصرار النصارى على أن التجسّد سر لا سبيل إلى إدراك كنهه بالعقل البشري المحدود لا محالة، وغاية ما يستطيع العقل بلوغه هو تقريبه من الأفهام، بينما يرفض المتكلمون كل ما يتعارض والمعقول مما لا يمكن إقامة الدليل عليه بالبراهين العقلية.

أولاً بين الباقلاني مقالات الفرق الكبرى في التجسّد، واختلافهم فيها، فقال: "وقد اختلفت عباراتهم عن معنى الاتحاد فقال منهم معنى الاتحاد أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح عليه السلام وقالت طائفة أخرى وهم اليعاقبة [1] وكثير منهم إن الاتحاد هو اختلاط وامتزاج وزعمت اليعقوبية أن كلمة الله انقلبت لحما ودما بالاتحاد وزعم كثير منهم أعني اليعقوبية والنسطورية أن اتحاد الكلمة بالناسوت اختلاط وامتزاج كاختلاط الماء

(١) فرق النصارى التاريخية ثلاث هي الملكية واليعقوبية والنسطورية، واختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في إقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم . انظر: ابن خلدون، التاريخ، ص ١ / ٢٣٤.

وامتزاجه بالخمر واللبن إذا صب فيهما ومزج بهما وزعم قوم منهم أن معنى اتحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتحادها له هيكلا ومحلا وتدبيرها الأشياء عليه وظهورها فيه دون غيره."[1]

وأنتقل المؤلف إلى عرض نقد المسلمين للأمثلة على التجسّد ومن ثم إلى ثم يرد هذه التفاسير فيقول:[2]: " فأما من زعم منهم أن معنى الاتحاد هو ظهور الابن في الجسد وادراعه له على سبيل ظهور الوجه في المرآة والنقش في المطبوع من غير حلول الوجه في المرآة وانتقال النقش إلى الشمع فلا معنى له لأن الوجه ليس يظهر في المرآة ولا صورة مثله ولا ينتقل إليها ولا يوجد على صفحتها ولا ممازجا لها وإنما يدرك الإنسان وجه نفسه عند مقابلة الأجسام الصافية الصقيلة بإدراك يحدث له بجري العادة عند مقابلة الأجسام بانعكاس الشعاع على ما يذهب إليه بعض المتكلمين فيظن عند إدراكه لنفسه ومقابلة الجسم الصقيل أن في المرآة صورة هي وجه أو مثل وجه وليس كذلك وقد بينا هذا في غير موضع بما يغني الناظر فيه وإذا ثبت أنه لا شيء يظهر في المرآة ولا يختص بها بطل بناء الاتحاد عليه وأما تشبيههم ذلك بظهور نقش الطبع في الشمع والطين فإنه باطل وتخليط من قائله وذلك أن الظاهر في الشمع شيء مثل نقش الخاتم وهو غيره لأن الحروف الموجودة بالشمع هي بعض له وجزء من أجزائه وما في الطابع من الحروف هو بعض الطابع ومن جملته وهما غيران يصح وجود أحدهما مع عدم الآخر فظنهم أن نفس النقش الذي في الشمع هو نفس الطابع جهل وتخليط فيجب على هذا إن لم تكن الكلمة هي نفسها الظاهرة في جسد المسيح أن يكون الظاهر فيه غيرها

(١) التمهيد ص١٠٧-١٠٨)

(٢) التمهيد، (ص ١٠٩)

وهو شيء مثلها وأن يكون لله سبحانه ابنان وكلمتان أحدهما لا يحل الأجسام ولا يتخذها هيكلا ومكانا والآخر حال في جسد المسيح وهذا قول بأربعة أقانيم وترك القول بالتثليث .

وهكذا دائما يلجأ الباقلاني بين الحين والحين إلى قواعد المتكلمين العقلية فيركن في رده على حدوث الأعراض والاستحالة العقلية لذلك على الله تعالى ليرد على الحلول والاتحاد النصراني.

المبحث الرابع: رد الباقلاني على النصارى في مسألة الصلب:

ركز المتكلمون على الانعكاسات اللاهوتية التي يمكن أن تكون للإيمان بالصلب على عقيدتي التجسّد والتثليث، بحيث يتناقض الصلب مع ألوهية المسيح، وعقيدة الإتحاد.

أما عقيدة الفداء فيمكن تبيّن عاملين أساسيين دفعا المتكلمين المسلمين إلى رفض هذه العقيدة:

١- أولهما إنكار الإسلام انتقال الخطيئة الأولى والإثم عند الإنسان التي هي العقيدة الأساسية والوضعية العادية للمسيحين بسبب خطيئة آدم الأزلية لأنه "لا تزر وازرة وزر أخرى".

٢- وثانيهما أن التصوّر الإسلامي لله يقوم على أنه إله تواب غفور رحيم، فلا مجال لإله فادٍ، وبالتالي لإله حقود يؤاخذ عباده على خطيئة لم يرتكبونها.وهكذا يمكن أن نفهم كيف يؤدي نفي ألوهية المسيح بصفة طبيعية إلى نفي الفداء، أي إلى نفي ما يرمز إليه الصلب وما اكتسبه من أبعاد في المنظومة اللاهوتية المسيحية، ولماذا يربط القرآن بين حادثة الصلب أو عدمه – وبين صعود عيسى إلى السماء ورفعه مع السكوت عن قيامته من بين الأموات، بينما يضفي النصارى على الصلب معناه بربطه بالقيامة.

وعلى هذا النحو سار القاضي الباقلاني فيستعمل الحوار المنطقي لإبطال الصلب، الأساس في العقيدة المسيحية، فقال: "...ويقال لهم خبرونا عن اتحاد الابن بالجسد أكان باقيا موجودا في حال وقوع القتل والصلب به أم لا فإن قالوا كان باقيا موجودا قيل لهم فالذي مات مسيح من طبيعتين لاهوت وهو الابن وناسوت وهو الجسد فيجب أن يكون ابن الله القديم قد مات كما قتل وصلب لأن جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت وإذا صار الابن عند

القتل ميتا لم يجز أن يكون في تلك الحال إلهـا لأن الإلـه لا يكـون ميتـا ولا ناقصا ولا ممن يجوز عليه الموت ولو جاز ذلك عليه لجاز مـوت الأب والروح وهذا ترك قولهم وإن قالوا الاتحاد بطل عند القتل والصلب قيل لهـم فيجب انتفاض الاتحاد عند القتل والصلب وهذا ترك قولهم ويجب أيضـا ألا يكون المقتول مسيحا لأن الجسد عند انتفاض الاتحاد ومفارقة المتحد به لـيس بمسيح وإنما يكون الجسد وما اتحد به مسيحا مع ثبوت الاتحاد ووجوده فـإذا بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت إنسانا ولا معنـى لقـولكم إن المسيح قتل وصلب..." (١)

(١) التمهيد ١١٨-١١٩.

المبحث الخامس: مناقشته لألوهية المسيح

سعى الباقلاني إلى دحض عقيدة ألوهية وبيان تهافتها من ثلاث طرق هي:

(١) الاعتماد على النصوص النافية لألوهية عيسى.

(٢) تأويل النصوص الإنجيلية بما يلائم العقيدة الإسلامية.

(٣) مناقشة تلك العقائد بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية.

الأدلة الكتابية:

ويقصد بها الأناجيل الأربعة أو العهد الجديد التي رجع إليها أصحاب الردود واستشهد بها لدحض المسيحلوجيا Christology المسيحية.

وقد تفاوت استخدام هذه النصوص بين محاور وآخر.

ويمكن تبيّن ثلاثة مواقف كبرى من "الكتاب المقدس" عند المتكلمين المسلمين:

أ) – الموقف الأول يقوم على قبول ما جاء فيه على أنه صريح في الدلالة على عدم ألوهية المسيح، وأنه موافق لما يقتضيه القول، وغير متعارض مع التوحيد المطلق الذي هو إيمان عيسى نفسه وإيمان المسلمين.

ب) – لم ينكر عدد من أصحاب الردود مبدئياً النصوص الإنجيلية التي تثبت أن عيسى ابن الله، ولكنهم سعوا إلى التأكيد على احتمالها تأويلاً يختلف عن تأويل النصارى لها، وأبرزوا عدم اختصاص عيسى بهذه النبوة إذ كانت مشتركة بينه وبين أنبياء آخرين وبين تلاميذه بشهادة الكتب التي يؤمنون بها.

ج) – يتسم الموقف الثالث من "الكتاب المقدس" بكثير من الصرامة. فهو إما رفض قطعي لما جاء فيه مما يتنافى والعقيدة الإسلامية أو احتراز شديد على الأقل في كل ما ليس مقبولاً في العربية بحيث يتعيّن تأويله، إذا كان مجازاً "يجري مجرى المتشابه في القرآن"، ولا يصحّ بالتالي بناء عقيدة ألوهية المسيح عليه – على فرض أن المسيح قد نطق به بالفعل.

وهكذا يتعين على كل منصف، بحسب الباقلاني، أن يقبل ما جاء في الأناجيل من الشواهد العديدة على أن عيسى مسيح الله، نبي كريم، عالي الرتبة، وألا يخرج به عن العبودية والبشرية. وعليه إذ ذاك أن يقف عن كل ما فيه نسبة عيسى إلى النبوة الإلهية أو إلى الألوهية أحد موقفين: إما تأويله بما يتفق والتوحيد المفارق الذي هو وحده جدير بالله والمسيح، وبما يتناسب والشواهد الصريحة على بشريته، وإما رفضه رفضاً قاطعاً باعتباره من أخبار الآحاد التي لا يجوز تأسيس الاعتقاد في الله عليها، ومن الكذب الذي تسرّب إلى إنجيل المسيح. ولا مناص في هذه الحالة من طرح ما يقتضيه "قانون نيقية" وترك التأويلات التي ارتضتها مختلف الفرق النصرانية لشخص عيسى فخالفته وناقضت إنجيله.

قال الباقلاني:

".. وإن قالوا إنما قلنا إن المسيح إله لأن الله قال في الكتب إنه إله وسماه بذلك فقال العذراء البتول تحمل وتلد ابنا يدعى أو يسمى إلها يقال لهم فقد قلتم قال الله لموسى إني قد جعلتك إلها لهارون وجعلتك إله فرعون على معنى أنك مدبر له وآمر له وواجب عليه طاعتك فقد كانت هذه لغة. ثم يقال لهم لم يخبر الله تعالى بأنه هو سماه أو يسميه إلها وإنما قال يدعى اسمه إلها فيمكن أن يكون أراد أن قوما يغلون في تعظيمه ويدعونه بذلك ويتجاوزون به

الحد ويكذبون في ذلك ويفترون فمن أين لكم ما سمي به من ذلك واجب صحيح فلا يجدون إلى ذلك سبيلا.. " (١)

نقده للنصوص وشبهات النصارى:

وقد بحث الباقلاني أيضاً في الشبهات والدوافع والأسباب التي جعلت النصارى ينسبون الألوهية إلى عيسى، وحصروها في ثلاثة، دحضها الباقلاني واحداً تلو الآخر، وهي:

١- أنه ولد من غير أب.

٢- واتيانه بالآيات العجيبة.

٣- وصعوده إلى السماء.

قال الباقلاني: "..يقال لهم لم قلتم إن كلمة الله اتحدت بجسد المسيح دون جسد موسى وإبراهيم وغيرهما من النبيين؟ فإن قالوا لأجل ما ظهر عل يد عيسى من فعل الآيات واختراع المعجزات التي لا يقدر البشر على مثلها من نحو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجعل القليل كثيرا وقلب الماء خمرا والمشي على الماء وصعود السماء وإبراء الزمن وإقامة المقعد وغير ذلك من عجيب الآيات فوجب أن يكون إلها وأن الكلمة متحدة به. يقال لهم لم زعمتم أن عيسى فاعل لما وصفتم من الآيات ومخترع لها وما أنكرتم أن يكون غير قادر على قليل من ذلك ولا كثير وأن يكون الله تعالى هو الذي فعل جميع ما ظهر على يده من ذلك وتكون حاله فيه حال سائر الأنبياء فيما ظهر عليهم من الآيات ثم يقال لهم ما أنكرتم أن يكوم موسى عليه السلام إلها وأن تكون الكلمة متحدة به لما فعله من الآيات البديعة نحو قلب العصا حية ذات فم وعينين وخروق ولم تكن من قبل حية ولا فيها رسم عينين ولا فم ونحو فلق البحر وإخراج يده بيضاء وغير ذلك وما أتى به من الجراد والقمل والضفادع

(١) التمهيد ص ١٢٢.

والدم وغير ذلك مما لا يقدر عليه البشر فإن قالوا موسى لم يكن مخترعا لشيء من ذلك وإنما كان يدعو ويرغب إلى الله تعالى في أن يظهر على يديه ذلك يقال لهم فما أنكرتم أن تكون هذه حال عيسى وأنه كان يرغب إلى خالقه وربه ومالكه في أن يظهر الأيات على يده وقد نطق الإنجيل بذلك لأن في الإنجيل أن عيسى عليه السلام بكى فقال رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني وأنه أراد أن يحيي كهلا فقال يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك فتستجيب لي وإنما أدعوك من أجل هؤلاء ليعلموا وقال يا أبي أنا أحمدك وقال وهو على الخشبة وقت الصلب بزعمهم إلهي إلهي لم تركتني وهذا فوق دعاء موسى وتضرعه وابتهاله فوجب أنه عبد مربوب ومحدث مخلوق كموسى وغيره من الرسل عليه السلام وإن قالوا عيسى كان يدعو ويرغب بهذا الدعاء عل سبيل التعليم للأتباع والتلاميذ وإلا فقد يخترع الآيات اختراعا ويأمر أن يكون فيكون قيل لهم فما أنكرتم من أن يكون دعاء موسى ورغبته إنما وقع على سبيل التعليم وإلا فقد كان يخترع فلق البحر وإخراج اليد بيضاء وقلب العصا ثعبانا وتظليلهم بالغمام واختراع المن والسلوى ويأمر بأن يكون ذلك فيكون فلا يجدون إلى ذلك مدفعا..."[1]

وفي كتاب آخر له هو التقريب يرد أيضا قول النصارى في عيسى عليه السلام إنه ابن الله اعتماداً على إحيائه الموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص. وبين لهم أنه عبد الله ورسوله، وأن ما ظهر على يديه هو بفعل الله سبحانه وتعالى"[2]

---

(١) التمهيد ١٢٠ – ١٢١.

(٢) التقريب والإرشاد (الصغير) المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣ هـ) المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ ص٧٢.

الأدلة العقلية:

وان "قانون نيقية" وهو عمدة مختلف الطوائف النصرانية في الإيمان بألوهية المسيح وتجسّده، وكان هذا هو موضوع اهتمام أصحاب الردود وموضوع نقدهم الصارم، فانبروا يحلّلونه ويبرزون ما فيه من تناقض بين أجزائه ويؤكدون أن ما جاء فيه عن ألوهية المسيح منافٍ لما يليق بالوحدانية، لأن عقيدة التجسّد الإلهي في عيسى تصدم مباشرة وفي الصميم مفهوم المفارقة، ولا تعتبر دالة على تجسيم الله لمحبته البشر أو على صيرورة الكلمة الأزلية جسداً، بل سمواً اعتباطياً بشخص تاريخي مادي محدود إلى منزلة الألوهية، مما يدخل الضيم على لا تناهي الله وأزليته وعدم خضوعه للزمان والمكان والأعراض، وما أوقع النصارى في هذا الرأي الفاسد سوى ثقتهم العمياء في ما وضع لهم أسلافهم من تعاليم في ظروف تاريخية استثنائية.

كانت حجة المجادلين المسلمين الأولى أن في الإيمان ببنوة عيسى الإلهية مسّاً بوحدانية الله الثابتة في جميع الكتب المقدسة، بما فيها الإنجيل نفسه، لذا كان تأكيدهم على استحالة الأبوة الإلهية والبنوة معاً. وكانت ردودهم تعكس بأمانة وفي أسلوب خطابي العقيدة الإسلامية الموحّدة وتأكيدها على تفرّد الله المفارق بالربوبية.

وما اتقف عليه المتكلمون هو أن القول بألوهية عيسى "لم يكن في الأوهام ممكناً"، وأنه "أبعد ما يكون من المعقول" و"خروج عن المفهوم والمعقول" و "لا معنى له"، و "لا تقبله العقول لتعذر الوقوف على معناه وفهم." فإن صرنا إلى حجة العقل لم نجد لقولهم إن الإنسان صار أزلياً والأزلي صار إنساناً وجهاً البتة، لأنهما إن كانا ثابتين على ذاتهما غير مستحيلين فليس يصير هذا هو هذا بجهة من الجهات، وإن لم يكونا ثابتين على ذاتهما فقد استحالا. وفاسد في العقل أن يستحيل البارئ الأزلي فيصير محدثاً، لم يكن فكان، ويستحيل المحدث الزمني فيصير أزلياً لم يحدث.

وهكذا يمضي القاضي مستعملا كل ما لديه من قوى عقلية وقياسا على آدم يبطل الباقلاني مستعملا القياس العقلي استدلال النصارى:

" وإن هم قالوا إنما قلنا إن عيسى إله وإن الكلمة اتحدت به لأنه ولد لا من فحل وليس كذلك من ذكرتموه من الرسل فيقال لهم فيجب على قياسكم أن يكون آدم عليه السلام إلها لأنه وجد لا من ذكر ولا أنثى فهو أبعد عن صفة المحدث لأنه لم يحل بطن مريم ولا غيرها ولا كان من معدن ولد ولا موضع حمل وكذلك يجب أن تكون حواء ربا لأنها خلقت من ضلع آدم من غير ذكر ولا أنثى فهو أبعد وكذلك المطالبة عليهم في وجوب كون الملائكة آلهة لأنهم لا من ذكر ولا أنثى ولا على وجه التبني فإن قالوا إنما وجب القضاء على ربوبيته لأنه قال في الإنجيل وهو الصادق المصدوق في قوله أنا وأبي واحد ومن رآني فقد رأى أبي يقال لهم ما أنكرتم أن يكون معنى ذلك أن من أطاعني فقد أطاع أبي أي مرسلي ومعلمي الحكمة ومن عصاني فقد عصاه فيكون معنى أبي أي إنه معلمي ومرسلي وقوله فمن رآني فقد رآه معناه فكأنه قد رآه وسمع كلامه وأمره ونهيه لأنه لو كان هو وأبوه واحدا لوجب أن تكون الولادة والحمل والقتل والصلب والأكل والشرب والحركة الجارية عليه كل ذلك جاريا على الأب وإذا كان هو المتحد بالجسد أن يكون الأب متحدا به فهذا كله ترك لقولهم إن ركبوه فإن قالوا إنما وجبت آلهية المسيح لأنه قال وهو الصادق في قوله أنا قبل إبراهيم وهو إنسان من ولد إبراهيم فعلمنا بذلك أنه قبل إبراهيم بلاهوته وابنه بناسوته يقال لهم فما أنكرتم أن يكون المراد بقوله أنا قبل إبراهيم أن كثيرا من ديني وشرعي كان متعبدا به مشروعا قبل إبراهيم على لسان بعض الرسل أو ما أنكرتم أن يكون أراد بقوله أنا قبل إبراهيم أي مكتوب عند الله وأنا معروف قبل إبراهيم عند قوم من الملائكة أو أنا مبعوث إلى المحشر قبل إبراهيم إذ لا يجوز إثبات الربوبية بجسد أكل الطعام ومشي في الأسواق ..." (١)

(١) التمهيد ص ١٢٢-١٢٣.

وكذلك قياسا على موسى يبطل الباقلاني قولهم:

" فإن قالوا قولنا مسيح اسم لمعنيين لاهوت هو إله وناسوت هو إنسان مخلوق فما كان من تضرع ودعاء فإنما وقع من الإنسان الذي هو الناسوت وما كان من إحداث آية وإظهار معجزة فهو واقع من الإله دون الإنسان يقال لهم فما أنكرتم من أن يكون موسى أيضا إسما لمعنيين إله وإنسان فما كان من دعاء ورغبة فإنه واقع من الناسوت وما كان من اختراع آية أو إبداع معجزة فإنه من اللاهوت دون الناسوت ولا فصل في ذلك فإن قالوا كل واحد من هؤلاء الأنبياء قد أقر بلسانه بأنه مخلوق وعبد مربوب مألوه مرسل من عند الله عز وجل والمسيح لم يقر بذلك قيل لهم وكذلك المسيح قد اعترف بأنه نبي مرسل وعبد مخلوق لأن الإنجيل ينطق بأنه قال إني عبد الله وأرسلت معلما وقال فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم عمدوا الناس وغسلوهم باسم الأب والابن والروح القدس قال في الإنجيل إن النبي لا يكرم في مدينته في نظائر هذه الإقرارات عنه كثيرة بأنه نبي وعبد مرسل ومألوه مدبر فوجب أنه ليس بإله فإن قالوا هذه الإقرارات واقعة من ناسوت المسيح دون لاهوته قيل لهم فما أنكرتم أن يكون كل إقرار سمع من نبي بأنه خلق وعبد ونبي فإنه إقرار ناسوته دون لاهوته فهل تجدون في ذلك فصلا..." (١)

(١) التمهيد ص ١٢٣.

أهم النتائج

توصل الباحث إلى عدد من النتائج الهامة منها:

١- إن الحوار الإسلامي – المسيحي قد اكتملت معالمه في نهاية القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي.

٢- إن الردود على المسيحين المؤلفة في القرون اللاحقة إنما كانت تردد ما كتب في القرون الأربعة الأولى وخاصة في القرنين الثالث والرابع"، من دون أية إضافات مهمة في التحليل والاستشهاد بالنصوص أو التعمق في اتجاهات سلكها الأقدمون.

٣- تأثرت جهود المتكلمين في الرد على النصارى بمنهجهم في علم الكلام وجعلوا عمدتهم في المناقشة القضية الأساسية التي بنوا عليها عقيدتهم وهي الجواهر وحدوث الأعراض.

٤- طبق الباقلاني منهج المتكلمين الجدلي في حواره مع النصارى فناقشهم بناء على نظرية الجوهر والعرض وذلك في جميع ابواب الرد.

٥- في باب واحد خالف الباقلاني منهجه فاستعمل العقل والنقل في الرد على النصارى في باب طبيعة المسيح.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي، (١٤٠٠ هـ) اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر -بيروت

ابن تيمية أحمد، (١٤١١ هـ) درء التعارض العقل والنقل، ط الثانية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية

ابن تيمية أحمد، (١٤٢٠هـ) "النبوات" ط ١. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن تيمية، أحمد، (١٩٨٧م) الفتاوى الكبرى ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

ابن عساكر، علي بن الحسن، (١٤٠٤) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت

ابن فرحون، إبراهيم بن علي، (١٤٢٦هـ) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ط دار التراث للطبع والنشر، القاهرة

ابن كثير، (١٩٨٨) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق : علي شيري الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (١٤١٨ هـ) البداية والنهاية، ط الأولى، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الأشعري، علي بن إسماعيل، (١٤١٣هـ) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ط ١ عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

الأشعري، علي بن إسماعيل، (١٤٠٠هـ) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط الثالثة، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، (١٩٩٩م) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، ط ٢ دار الراية ، ، السعودية – الرياض.

الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، (١٩٩٧ م) المواقف في علم الكلام، ط ١ دار الجيل – بيروت

الباقلاني، محمد بن الطيب، (١٣٦٩) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ط ٢ المكتبة المصرية بالقاهرة، بتحقيق الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري. ط أخري الثانية، (١٤٢١) المكتبة الأزهرية للتراث.

الباقلاني، محمد بن الطيب، (١٩٨٧)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ط ١ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر،(١٤٣٦هـ) أصول الدين ، ط ١ ملتزم الطبع والنشر كلية الإلهيات باستنبول.

البيجوري، إبراهيم بن محمد، (٢٠٠٤م) جوهرة التوحيد، شرح اللقاني، ط ٢ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

دغيم، سميح دغيم (١٩٩٨) موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ط ١ مكتبة لبنان ناشرون

الذهبي، محمد بن أحمد، (١٤١٩هـ) تذكرة الحفاظ، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت–لبنان

الرازي، محمد بن عمر، (١٩٠٥) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ط ١ الكليات الأزهرية، ٩ ش الصنادقية، الأزهر، مصر.

صبري ، مصطفى، (١٤٠١هـ) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط ٢، دار احياء التراث بيروت لبنان.

الصفدي، صلاح الدين خليل، (١٤٢٠) الوافي بالوفيات، ط دار إحياء التراث –بيروت

الفادي، عبد الله ، (٢٠٠٠) التجسد عند اوريجانيوس، بدون بيانات.

المعجم الوسيط ، (٢٠٠٤) مجمع اللغة العربية بالقـــاهرة : (إبـــراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة.

هنري بولاد، الإنسان وسر التجسد، ترجمة بولس دحدح، طبعـــة دار المشرق ش م م ، الأولى ٢٠٠٨، بيروت لبنان.